الخاتمة

بعد أن قَدَّم هذا البحث صورة نظريَّة موجزة عن قضية الإبدال اللغوي , ثم تطبيق تلك الصُّورة على الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة من خلال عنوان :" الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة " يمكن بعد ذلك أن أبيِّن أهم وأبرز النَّتائج التي قَدَّمها هذا البحث , وذلك على النحو التالي :-

(1) قَدَّمت هذه الدِّراسة ستَّ عشرة حالة لأربع وعشرين لفظة قرآنيَّة تحقَّقت فيهم قضية الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة .

(2) إذا كانت العلاقات التي تُسَوِّغ الإبدال بين الصَّوامت تنحصر في أربع حالات وهي : التَّماثل , والتَّجانس , والتَّقارب , والتَّباعد , فإنَّ حالات الإبدال بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة قد تحقَّقت في ثلاث منها فقط , وهي كما يلي : -

أ- حالة التَّماثل : وهي أن يتحد الحرفان مخرجًا وصفة مثل حالة الإبدال بين صوتي اللام والنون .

ب- حالة التَّجانس : وهي أن يتفق الحرفان مخرجًا ويختلفا صفة , وقد تحقَّقت هذه الحالة من خلال خمس صور للإبدال وهي : الإبدال بين صوتي الهمزة والهاء , والعين والحاء , والصَّاد والسِّين , والسِّين والزَّاي , وأخيرًا بين التَّاء والدَّال .

ج- حالة التَّقارب : تحقَّقت هذه الحالة في القراءات القرآنيَّة من خلال صورها الأربع التي تحقَّقت في ألفاظ اللغة العربية عامَّة وهي :

- الإبدال بين صوتين متقاربين مخرجًا ومتَّحدين صفة مثل حالة الإبدال بين صوتي السِّين والتَّاء .

- الإبدال بين صوتين متقاربين مخرجًا وصفة مثل حالة الإبدال بين صوتي الغين والعين , ثم الضَّاد والصَّاد والطَّاء .

- الإبدال بين صوتين متقاربين مخرجًا متباعدين صفة مثل حالة الإبدال بين الكاف والقاف .

- الإبدال بين صوتين متقاربين صفة متباعدين مخرجًا , وقد تحقَّقت تلك الصُّورة في ست حالات وهي : الإبدال بين صوتي الرَّاء واللام , والدَّال والذَّال , والتَّاء والهاء , والثَّاء والفاء , والفاء والميم , وأخيرًا الواو والهمزة .

ومن هنا فإن أكثر الحالات ورودًا هي حالة التَّقارب , وهذا يؤكِّد ما توصَّل إليه الدكتور صبحي الصَّالح عندما علَّق على علاقات الإبدال بقوله : " ولو تتبعنا مسوِّغات الإبدال في حروف المعجم العربي على ترتيبها لوجدنا علاقة التَّقارب أكثر بين تلك المسوِّغات أما التَّجانس والتَّباعد فقليلان نادران , وإن كانا يتفاوتان بين حرف وآخر[1] " .

(3) ظهر الإبدال في غالب الأحيان بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة نتيجة لاختلاف اللهجات العربية منها ما ورد منسوبًا إلى قبيلته , ومنها ما لم يرد منسوبًا .

فما ورد منسوبًا إلى قبيلته قد تمثَّل في الحالات التالية .

- إبدال الحاء عينًا أو العكس كما في قراءات (عتَّى , وطلع , ونحم , وبحثرت) فقد ورد منسوبًا إلى قبيلة هذيل وثقيف .

- نسب النُّطق بالكاف لقبيلة قريش في قراءة (كشطت) في حين نسب النُّطق بالقاف لقبيلة قيس وتميم وأسد , وإن نسب في بعض الرِّوايات النُّطق بالكاف لقبيلة قيس .

- نسب النُّطق بالنُّون لقبيلة تميم في (إسرائيل) , وبني أسد في (جبريل) .

- نسب النُّطق بالصَّاد كما في قراءة (الصِّراط) وغيرها من الكلمات الأخرى إلى قبيلة بني العنبر وبني سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل وتميم وقريش وبني كلب , في حين ورد النُّطق بالسِّين منسوبًا إلى قبيلة قيس .

- أهل اليمن بالتَّاء بدلا من السين في (الناس) .

- قريش بالتَّاء في (التَّابوت) , ولغة الأنصار بالهاء .

- النُّطق بالثَّاء لأهل الحجاز في (الأجداث) , وبالفاء لبني تميم , وإن كانت هناك روايات وردت بعكس ذلك .

---

(1) دراسات في فقه اللغة صـ 219 , 220 .

- إبدال الواو المكسورة الواقعة أولا همزة كان من نصيب قبيلة هذيل كما في القراءة بالهمزة في (وعاء , ووجوهم , وأقتت) .

وأما ما لم يرد منسوبًا إلى قبيلته فقد تمثَّل في حالتي النُّطق بالهاء بدل الهمزة في (إيَّاك) , والزاي بدلا من السِّين في (الرِّجس) .

(4) في نسبة النُّطق بالكاف وهي من الأصوات المهموسة إلى قبيلة قيس كما في قراءة (كشطت) , وكذلك النُّطق بالفاء وهي من الأصوات المهموسة أيضًا إلى قبيلة تميم كما في قراءة (الأجداث) وهما من البيئات البدويَّة ما يخالف ما تعارف عليه العلماء من نسبة النُّطق بالأصوات المجهورة للبيئة البدويَّة , وبالأصوات المهموسة للبيئة الحضريَّة , وفي ذلك تأكيد على " أن القوانين التي تخضع لها اللهجات ليست كالقوانين الطبيعيَّة في الكون تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها , بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها[1] " .

(5) مَثَّل الإبدال في بعض الأحيان ظواهر لهجية مشهورة عند العرب تحقَّق من خلالها وجود العلاقة الصَّوتية بين الصوتين محور التبادل مثل ظاهرة الفَحفَحة وهي إبدال الحاء عينًا أو العكس , وكذلك ظاهرة الوَتْم وهي إبدال السِّين تاء .

(6) ظهر الإبدال في بعض الأحيان نتيجة للتَّماثل الصَّوتي كما في قراءات (تدخرون , وادكر , ومدكر) , وهي تلك الظاهرة المعروفة عند علماء اللغة بظاهرة (المماثلة) وهي : " تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا كليًّا أو جزئيًّا[2] .

وقانون تلك الظَّاهرة يعتمد على " تأثر الأصوات اللغوية , بعضها ببعض , عند النُّطق بها في الكلمات والجمل , فتتغيَّر مخارج بعض الأصوات أو صفاتها , لكي تتَّفق في المخرج أو في الصِّفة , مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام , فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام , بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصِّفات , ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها – كما نعرف – في المخارج – والشِّدَّة والرَّخاوة , والجهر والهمس , والتَّفخيم

(1) في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس صـ 77 .

(2) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر صـ 387 .

والتَّرقيق , وما إلى ذلك , فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد , أو من مخرجين متقاربين , وكان أحدهما مجهورًا والآخر مهموسًا مثلا , حدث بينهما شدٌّ وجذب , كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته , ويجعله يتماثل معه في صفاته كُلِّها أو في بعضها[1] " .

وبعد , فقد أردت من خلال هذه الدِّراسة اللغويَّة القرآنيَّة أن أضيف لبنة إلى صرح اللغة الشَّامخ , فإن أضافت فتلك نعمة تؤدَّي شكرها كما وعد ربُّنا في محكم كتابه :﴿ ... لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾[2], وإن كانت الأخرى فأدعوه – عزَّ وجلَّ – أن يَمُنَّ عليَّ بنور العلم والبصيرة حتى أحظى بشرف رضوانه وجليل نعمته , وأن تكون الدِّراسات المستقبليَّة أوفر حظًّا وأتمَّ نصيبًا ﴿ ... وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3] .

(1) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه د. رمضان عبد التواب صـ 30 .

(2) إبراهيم من الآية (7) .

(3) البقرة من الآية (212) .